

رؤية إسلامية مجردة

قراءات من كتاب أحمر

لينين زعلان من الشيوعيين

د. عبد العظيم المطعني

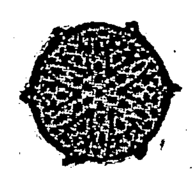


مطبعة التقدم
٤٤ شارع الموازيني بالمنيرة ت ٨٤١٤٢١



الثمن ١٠

رؤية إسلامية مجردة



قراءات من كتاب أحمر

لينين زعلان من الشيوعية

د. عبد العظيم المطعني



دار الأنصار
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

١٣٩٨ هـ

١٩٧٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

من أبرز المشكلات الفكرية التي احتلت مكان الصدارة لدى المفكرين والكتاب في النصف الثاني من القرن العشرين ، هنا في مصر ، وفي غيرها من البلدان الإسلامية والعربية بالذات ، من أبرز تلك القضايا الفكرية قضية الصراع بين أنصار الشيوعية وخصومها ، حيث تبارى الفريقان في حلبة صراع حاد على صفحات الصحف ، وموجات الأثير ، وفي العديد من الكتب والمؤلفات التي يلتقي بها في الساحة الأنصار والخصوم على حد سواء ؟ !

أنصارها يصفونها بوصف جامع ، ثم يأخذون في الشروح والتفاصيل ٠٠ ! والشيوعية في كتاباتهم هي البلسم الشافي من كل الأمراض الاجتماعية والسياسية ، بل هي « المخلص » للعالم من هذا الشقاء المخيم عليه في كل مكان ، والمنصف للفقراء والأجراء والفلاحين الكادحين الذين يقوم على « كواهلهم » صرح الإنتاج ،

وتخلو من « مائده » بطونهم ، وتعرى أجسادهم . فهم مثل دودة القز تصنع الحرير ويرفل فيه غيرها ٠٠ ؟!

ويوم تصل الطلائع الثورية إلى لحظة الانتصار المظيم ، وتقوم دولة « البروليتاريا » وتسقط كل الحكومات الرجعية . يومئذ تختفى كل صور الظلم ، ويعم الرخاء والعدل والمساواة . وتسيطر طبقات العمال على وسائل الانتاج . ويعيش الناس فى « يوتوبيا » لاتعرف قواميسها معنى لكلمات الظلم ـ الاضطهاد ، الشقاء ؟؟ .

أمانى ساحرة ، وعبارات معسولة ، ووعود مخضرة زاهية ٠٠!

أما خصوم الشيوعية فإن « المحصل » من كتاباتهم حتى الآن يتلخص فى الحقائق الآتية :

* الشيوعية نظام إرهابى دموى ووعود مضللة ظاهرها فيه رحمة وباطنها من قبله العذاب .

* الشيوعية نظام يعتمد على إثارة الفتن والتحريض على أعمال الشغب والعنف ويندس عملاؤه بين صفوف « الجماهير » للإثارة على الفوضى والتشكيك فى كل النظم القائمة حتى ينهار البناء الاجتماعى ويمكن لهم الصيد فى الماء العكر! .

* يعمل الشيوعيون على خلق الأزمات الاجتماعية والوطنية ، ثم يتولون تصعيدها إلى درجة «الغليان» لأن هذه الدرجة مطلوبة لهم لتحقيق أهدافهم ؟ !

* لا مـكان فى النظم الشيوعية للحريات الشخصية أو الاجتماعيـة والولاء للنظام الشيوعى عقيدة ودين .. ؟ !

* السياسة فى النظام الشيوعى لهـا وجهان ظاهر مكشوف غـير مراد وخفى مستور هو المطلوب ؟ !

* المواهب الفردية مقتولة فى ظل النظم الشيوعية ، وحرية العمل مقيدة والملـكيات الخاصة جريمة نـكراء ، والخروج على النظام الحزبى الشيوعى عقوبته القتل بالرصاص ؟ !

* الأديان فى النظام الشيوعى ضرب من « التعامى » مما ينبغى أن يتصدى له الناس من قضايا الحاضر والمصير أو هى لعبة لجأ إليها الـكهان والأقوياء ليشغلوا الناس عن ممارسة حقوقهم فى الحياة راضين بـكل ظلم واضطهاد يراد بهم أملا فى تعويض الحياة الآخرة (!)

كل ما جاءت به الأديان من عقائد هى فى الواقع أمور غيبية ، الايمان بها بلاهة وخطل ؟ !

* كل الحكومات فى نظر الفكر الشيوعى نظم رجعية يجب إسقاطها بكل حزم وعزم لتقوم دولة «البروليتاريا» فى آخر الأمر..!؟ هذه الأوصاف ، وغيرها كثير ، يعرفها قارىء الصحف اليومية سواء ما قيل منها مدحاً للشيوعية على لسان أنصارها ، وما قيل فى ذمها على لسان خصومها . . . ؟

(٢)

فالحق مع من ياترى ؟ أهو مع أنصارها كما صوروها فى كتاباتهم وندواتهم ؟ أم هو مع خصومها ؟! وهل تؤخذ الحقيقة من أفواه الأنصار والخصوم ؟

إن المنهج العلمى المجرد يقتضى الرجوع إلى مصدر آخر غير الأنصار وغير الخصوم ، لان أنصار أى مذهب يمثلون أحد طرفى قضية النزاع ، فهم المدعى (بكسر العين اسم فاعل) والمدعى متهم فى دعواه . فهو ليس بحكم . . !

والخصوم يمثلون الطرف الثانى فى القضية ومركزهم فيها هو نفس ماورد فى «قاعة المدعى» فهم — كذلك — متهمون فى دفوعهم لانهم أصحاب مصلحة فى الرد على المدعى . فهم إذن ليسوا بحكم . . ؟

الأنصار متهمون بالمبالغة فى إثبات « المحاسن » والخصوم متهمون بالمبالغة فى اثبات « المساوىء » . فلا بد اذن من مصدر

آخر يكون هو (الحكم) فى هذه القضية التى طال عرضها على الساحة .

فهل ياترى — الشيوعية كما يصفها أنصارها ؟ أم كما يصفها أعداؤها وخصومها ؟

ومن هو صاحب القول الفصل فيها ؟ أهو الواقع الشيوعى فى البلدان التى تسيطر عليها النظم الشيوعية ؟ أم هو الواقع الشيوعى فى غير البلدان الشيوعية من التى يكون للشيوعية فيها أحزاب وكتل .؟

قد يكون الأمر كذلك ، ولكننا هنا سنتجه إلى مصدر آخر غير الواقع الشيوعى هنا ، أو هناك . مصدر يمثل الجانب النظرى للفكر الشيوعى الذى ترجم — بعد إقراره — الى عمل . وهنا يدخل الواقع الشيوعي العملى — بكل صوره — مع الجانب النظرى فى صياغة الاجابة على سؤالنا المتقدم للفصل فى هذه القضية التى طال النزاع حولها فى ساحات الفكر والقضاء الأدبي ، لان ذلك الواقع إنما هو ظل هذا المنهج المعروض كخطة عمل جماعى وفردى . فهما — المنهج والواقع المرتكز عليه — وجهان لعملة واحدة .

والظل — دائما — تمثيل أمين لمصدره ، يستقيم اذا استقام ،

ويعوج اذا اعوج . ولن يستقيم ظل مصدره معوج كما يقــول الشاعر

. . . . . .

وهل يستقيم الظل والعود أعوج

والعــكس صحيح . فلن يعوج ظل عوده مستقيم !؟

(٣)

ولن أتعجـل الافصاح عن النتائج — عزيزى القارىء — حتى أضع بين ناظريك الحقائق تتحدث عن نفسها ، لتشترك — أنت — معى فى صياغة الحـكم والنطق به وهى أسلم وسيلة للإقناع واتخاذ القرار . . !

مصدرنا — هنا — هو أحد أقطاب واضعى الفـكر الشيوعى الذى هو موضوع النزاع (!) .

إنه (لينين) أحد زوايا المثلث الشيوعى المشهور :

ستالين لينين

ماركس

ومعذرة لقواعد الرياضة النظرية . فحق هذا المثلث، باعتباره مثلثا ان تكون قاعدته إلى (أسفل) ورأسه إلى (أعلى) . . ؟

ولكن عندما تفسر زواياه بهذا التفسير (ماركس — لينين ستالين) فلن يكون وضعه إلا مقلوبا لمعان كثيرة ، سير الأحداث حسب الترتيب الزمنى واحد منها .

فالقاعدة هى (ماركس) لأنه المؤسس (!) ومن عداه هو الرأس وإن تعدد .

وحين تحل القاعدة محل الرأس يصبح وضع المثلث غريباً (!)
وهذا معنى ثان مقصود ؟ •

ثم . . ما مصير شكل ثقله هكذا . دقة ونحافة فى الأساس أو القاعدة . . وتمدد وانبساط فى القمة أو الارتفاع . ؟!

ما مصير هذا الشكل الا الانكفاء والتهدم (!)

وهذا معنى ثالث مستهدف . .

مصدرنا — إذن — هو لينين . وهو من هو فى الحقل الشيوعى تخطيطاً وريادة وممارسة .

فتعال معى نقترب منه ونستفتيه فللرجل قدم راسخة فيما نحن بصدده . !

فقد وضع لينين هذا كتابا أطلق عليه اسم « مرض اليسارية الطفولى فى الشيوعية » طبعته دار التقدم فى موسكو ، وقد ترجم إلى عدة لغات عالمية كانت اللغة العربية واحدة منها . . وضع لينين كتابه هذا كخطة عمل لممارسة النشاط الشيوعى فى جميع بلدان العالم ، ورصد فيه حساب الأرباح والخسائر عن الحقبة التى سبقت وضع الكتاب وحذر الدعاة الشيوعيين من الوقوع فى

أخطاء الماضى ، كما صب جام غضبه على تصرفات بعض «الأحزاب الشيوعية» لقصورها فى اتباع المنهج الأمثل لسيطرة الشيوعية واكتساحها لجميع النظم المناوئة لها . وقام بدوره فى إعداد المنهج الذى يجب على الشيوعيين تنفيذه بحرص شديد اختصاراً للوقت ووصولا إلى لحظة الانتصار العظيم كما يقول هو نفسه فى كتابه المذكور .

وهأنذا أضع أمامك — عزيزى القارىء — نصوصاً من ذلك الكتاب المنهجى ، لنصل معاً — وفى هدوء — إلى الحقيقة المطلوبة . هل الحق مع أنصار الشيوعية فيما يروجون عنها . أم هو مع خصومها فيما يصفونها به من أوصاف ؟

لأن الكتاب — فى نظرى — صدع خطير فى جانب أحد طرفى القضية : الأنصار والخصوم . وسنعرف — بعد قليل — فى أى جانب منهما يستقر الصدع وتتسع الشروخ ؟

(٤)

يقول لينين فى (ص ١٣) بالحرف الواحد من الطبعة العربية :

« ان الخبرة الثورية ، والسرعة ، والتنوع فى تبدل مختلف أشكال الحركة ، من علنية وغير علنيـة ، هادئة وعاصفة سرية ومكشوفة . حركات ضيقة النطاق ، وحركات جماهيرية إرهابية وحركات برلمانية لم تتجمع فى أى بلد فى مثل هذه الوفرة ، من الأشكال والتلاوين فى الأساليب فى نضال جميع طبقات المجتمع الحديث »

ساق لينين هذا الكلام فى مطلع كتابه. وفيه يفخر بالمنجزات العظيمة التى أسفر عنها التطبيق العملى فى الدعوة إلى الشيوعية ، وهى تتلخص فى الآتى :

* الخبرة الثورية الزكيـة . التلون فى الحركة بين الإعـــلان والإسرار والهدوء والعنف، والضيق ، والاتساع حسبما تقتضيه طبيعة الظروف .

* الارهاب والتخويف .

ثم يقول إن هذه الفنون لم تتجمع فى أى بلد مثلما تجمعت فى روسيا . بلد الطلائع الثورية .؟!

أفليس من العجب أن يفخر رئيس نظـام يرجو له أصحابه

الذبوع في كل مكان . أليس من العجب أن يفخر بهذه المنفرات ؟ إن التلون فى الحركة على الوجوه التى ذكرها لينين لايعنى سوى الخداع والمراوغة . . ! وهل يحترم الناس نظاماً هذه ملامحه ؟

ثم الإرهاب ، أليست هذه كلمة مخيفة ومنفرة . الشيوعيون يقولون إن الشيوعية هى « الخلاص » من الشرور . فهل — يا ترى — الخداع والمراوغة ثم الارهاب . هل هذه الكلمات من قبيل الخير والخلاص الذى يبشرون به ؟ أم أنها من قبيل الشرور والظلم والاضطهاد ، وهى أمور يقول دعاة الشيوعية أنهم يجندون لمحاربتها ؟

هل يليق بزعيم مذهب فكرى أو سياسي أن يفخر بهذه « النقائص » مفروقة أو مجموعة .

* السياسة فى الفكر الشيوعي لها وجهان :

الأول : ظاهر مكشوف غير مراد ، وإنما هو حيلة وتمويه إلى وقت ما . يقدرونه هم حق قدره وفق حسابات متفق عليها .

والثانى : سرى مقنع وهو المراد لهم ، إذ هو « الموتور »

المحرك لكل أنشطتهم . إنه محرك غير منظور ، فإذا جاءت اللحظة المناسبة ظهرت حقيقة النوايا على المسرح . إذ لا خوف فى هذه اللحظة . فكل شىء على مايرام ؟ !

أما الحركات فهى بدورها أنواع لكل نوع منها عامل وهدف . فهى من حيث المساحة تتراوح بين الضيق والاتساع . المدرسة ـ الكلية ـ المصنع ـ مثلا ـ ثم المساحة الكبرى حيث يوجد الجمهور . عمل هادف فى كل مكان .

وأما من حيث درجة الحركة نفسها فهادئة حيناً . . لا تعدو استخدام الكلمات مسموعة أو مقروءة أو ممثلة جامعة بين السماع والرؤية .

وعنيفة أحياناً . ومقدار العنف ــ هنا لا يملك حق تفسيره إلا عملاء الشيوعية ، لأنه لا يفسر بالكلام ، وإنما بالأعمال ، ومن يا ترى يستطيع أن يشرح عملية الانتحار بالقاء نفسه من قمة البرج .. ! ؟

ثم يقول لينين فى نفس الكتاب من ترجمته العربية (ص١٥) :

« والطليعة الثورية تدرك بتجربتها المرة ، أنه يستحيل

هذه القاعدة التي يضعها لينين لو أنها كانت خطة قائد حربي مسئول عن الحفاظ على «جيشه» في أثناء إدارته لمعركة ، لكانت قاعدة مقبولة لان الهجوم والتراجع العسكريين فن دقيق من فنون القتال . لو كان الأمر كذلك لما وجدنا مأخذا واحداً على قاعدة لينين هذه . ولكن لينين لم يكن قائدا حربياً . ولم يضع قاعدته تلك لادارة موقعة مسلحة وإنما وضعها ليمارس عملاء الشيوعية نشاطهم باثارة الفتن والتحريض على أعمال العنف بين الجماهير . ولذا فاننا نجد فيها عشرات المآخذ لأنها لون من ألوان الدسائس والسلوك الخسيس . فالشيوعية مثل وباء الملاريا يتفاقم خطرها حول « المستنقعات والبرك » ولا أثر لها فى البيئات النظيفة . مع فرق ضئيل . لان المستنقعات والبرك التى يتطلبها النشاط الشيوعى هى « الاضطرابات والفتن » فعلى الشيوعى الداعية أن يخلق تلك الفتن ولكن عليه أن يدبر طريق الخروج من « الورطة » إذا اكتشف أمره . وإلا وقع تحت طائلة العقاب وفى هذا قضاء على الخطة كلها . وهو أمر غير محمود لمن يحاول الفعل فى الخفاء .

وهذا يذكرنا بقصة « الثعلب المكار » التى كنا نستلذ سماعها فى

عهد الطفولة . فالثعلب المكار لا يجرؤ على اقتحام « الحظيرة » ولو مات جوعا إلا إذا وضع خطة سهلة للخروج منها . لأنه لو لم يفكر فى الخروج لكان موته محققا على يد مالك الحظيرة . أما مع الجوع خارجها فهو مجرد احتمال . ويمضى لينين يضرب المثل لبيان قيمة هذا المبدأ عمليا ، فيتحدث عن نجاح « البلاشفة » الذين هو منهم » على « المناشفة » وهم فريق من الشيوعيين احتدم الصراع بينهم و بين البلاشفة عام ١٩٠٥ وانتهى بنجاح البلاشفة .

يقول لينين عن أسباب نصرهم على المناشفة : « بيد أن البلاشفة ما كانوا ليتوصلوا إلى ذلك [النجاح] لو أنهم لم يمارسوا تاكتيكا صحيحا فى الجمع بين العمل السرى ، و بين الاستفادة اللازمة من الامكانيات العلنية » الكتاب المذكور (ص ١٦) .

هذا هو منطق القوم ، خداع و تمويه حتى بين طوائفهم بعضهم بعضا لكن لينين لم يذكر — تفصيلا — ما هو العمل السرى إذ ذاك ، وماهو الوجه العلنى ، وكيف تم الجمع بينهما ؟ لم يذكر شيئا من ذلك وإلا لافتضحت الخطة وهذا الحديث نفسه قد جرى على نفس الخطة ... فالمبدأ نفسه معلن . . أما دقائق التطبيق فهى

الجانب السرى الذى لا يحمد الافصاح عنه . ألست معى فى هذا الفهم ؟ !

(٥)

والارهاب والاغتيال الجماعى لا الفردى مبدأ مشروع فى تعاليم الشيوعية . ولذلك فان لينين يلوم بعض الأحزاب الشيوعية لانهم كانوا يمارسون الاغتيال الفردى دون الجماعى . فاقرأ معى قول لينين :

« إن هذا الحزب كان يرى ثوريته أو يساريته فى اعترافه بالارهاب الفردى والاغتيال ، الأمر الذى رفضناه نحن الماركسيين رفضاً باتاً .. وبدهى أننا رفضنا الارهاب الفردى لصالح العمل فقط » ؟ ! (ص ٢١ ـ ٢٢) من نفس الكتاب .

وها هنا أمور أريد أن تلحظها من النص نفسه .

أحدها : مأخذ لينين ينصب على الاعتراف بالارهاب الفردى دون الارهاب نفسه فردياً كان أو جماعياً . فالارهاب بكل صوره أمر مسكوت عنه أو هو أمر مشروع . وإنما المنكر هو الاعتراف

به . والفرق كبير بين ممارسة الارهاب وبين الاعتراف به كخطة عمل مجدية .

وثانيهما : إن الارهاب الجماعي ممارسة واعترافاً هو الذي يجب أن تتخذ منه كل الأحزاب الشيوعيـة طريقاً للوصول إلى الهدف المقصود من كل حركة سرية أو معلنة . وإلا فليس هناك معنى أبداً لتقييد هذا الارهاب بالفردى . فالوصف له دلالة قاطعة لا تخفى على كل من له دراية بفهم النصوص !

والثالث : ولنفرض أن المقصود من الاعتراف بالارهاب الفردى هو ممارسة الارهاب نفسه . فإن لينين يتورط ويورط معه الشيوعية فى أخطر المزالق وأعمق الأوحال . فهو يقول : « وبدهى أننا رفضنا الارهاب الفردى لصالح العمل فقط » ؟ !

ومعنى هذا الكلام الخطير أن الانسان لا حرمة له فى التفكير الشيوعى ، فالأصل فى دمه أن يكون « مهدراً » فيذبح كما تذبح الخراف .. ولن يصان دمه ولا عرضه ولا ماله إلا إذا دعت إلى هذا مصلحة العمل من أجل انتصار الشيوعية . فى هذه الحالة وحدها يصبح الانسان ذا حرمة . ألم يعن لينين هـذا المعنى بقوله « فقط » ؟ !

وليس لنا — بعد — من تعليق إلا أن نسأل هذا السؤال :

مذهب لا يرى للإنسان حرمة ولا كرامة هل يستاغ منه أن يدعى أنه يهدف إلى « سعادة الإنسان » ؟ ثم ما هو موقف الإنسان نفسه فى أى مكان من هذه الدعوى . وقد حملت له فى صدرها كل حقد دفين ومكر ودهاء !

يعتقد الشيوعيون أن المؤسسات الشرعيـة وهى البرلمانات ، والنقابات القديمة فى البلاد غير الشيوعية ، يعتقدون أن هذه المؤسسات تجمعات رجعية لأنها قائمـة على أسس ولوائح رجعية . ولهذا فان كثيراً من الأحزاب الشيوعية القديمة المعاصرة لحياة لينين كانت تقاطع تلك المؤسسات من برلمانية ونقابية .

لـكن لينين يخطىء هذا الرأى ، وهو مقاطعة المؤسسات الرجعية لا لأنها غير رجعية فى نظره ، بل لأن مصلحة العمل الشيوعى تقتضى الاشتراك فى تلك المؤسسات لأهداف تاكتيكية سيفصح عنها لينين نفسه بعد قليل . وإليك ما قاله لينين فى هذا الصدد :

إنه عند الجمـــع بين أشكال النضال العلنية وغير العلنية ، والبرلمانية وغير البرلمانية ، يكون من المفيد ، بل ومن اللازم

أحيانا الامتناع عن الأشكال البرلمانية . بيد أنه يكون من أخش الخطأ تطبيق هذه الخبرة فى ظروف أخرى وموقف آخر تطبيقاً أعمى وعن تقليد ودون تمحيص » (ص ٢٤) .

فالمبدأ نفسه عند لينين لا نزاع فيه ، وإنما النزاع فى تطبيقه فى كل الظروف بلا تمييز بين موقف وآخر . فمقاطعة البرلمان الرجعى عند لينين تكون مفيدة فى ظروف ، وضارة فى ظروف أخرى .

ويبين لينين الظروف التى تصلح فيها المقاطعة ، والظروف التى لا تصلح فيها وهذا نصه فى ذلك :

« فقد كانت مقاطعة البلاشفة للدوما سنة ١٩٠٦ غلطة ، رغم إنها كانت غلطة غير فاحشة . وتصلح بسهولة . أما المقاطعة فى سنتى ١٩٠٧ — ١٩٠٨ والسنوات التى تلتهـا فقد كانت خطأ فاحشا من العسير إصلاحه .

إذ من جهة لم يكن بمكننا آنذاك توقع صعود سريع جداً لموجة ثورية وصيرورتها إلى انتفاضة . (!)

ومن جهة أخرى كان كامل الوضع التاريخي السائر في اتجاه تحديد الملكية البرجوازية يتطلب الجمع بين النشاط العلني وغير العلني » (ص ٢٤ ـ ٢٥)

ونستطيع أن تدرك بسهولة ـ عزيزي القارئ ـ أن مقاطعة الشيوعيين للبرلمانات الرجعية تكون مطلوبة إذا كانت الاوضاع تنذر بحدوث تمرد جماعي تحت أي مؤثر اقتصادي أو اجتماعي أو سياسي . في هذه اللحظات يفضل الشيوعيون مقاطعة البرلمانات الرجعية ، ليتفرغوا للعمل في الساحة الكبرى التي تؤذن بالانفجار ، وحتى لا يورطوا أنفسهم أمام الثوار في المسئولية عن الأسباب التي أدت إلى الثورة ؟ !

أما إذا كانت الاوضاع هادئة فالأفضل عندهم الاشتراك في البرلمانات الرجعية للعمل على إحداث بلبلة وصدوع في البناء القائم عن طريق ممثليهم فيها . وسيأتي لهذا مزيد بيان على لسان لينين نفسه .

ثم يقول لينين في بيان شرعية هذا الاشتراك :

« إن البلاشفة ما كانوا استطاعوا أن يحفظوا النواة الصلبة لحزب البروليتاريا الثورى فى سنوات ١٩٠٨ — ١٩١٤ لو أنهم لم يذودوا فى نضال حامى الوطيس عن ضرورة الجمع بين الاشكال العلنيــة للنضال ، و بين الأشــكال غير العلنيــة . وعن ضرورة الاشتراك فى البرلمان الرجعى للغاية وفى جملة من المؤسسات الأخرى التى استنت لها قوانين رجعية كصناديق التأمين وما إليها » (ص ٢٥)

لا تنس عزيزى القارىء أن لينــين بلشفى ، وهو لهــذا يفخر بمرونة البلاشفة وحسن فهمهم لروح المبادىء الماركسية . ولأنهم كذلك — فقـــد استطاعوا أن يحتفظوا بالنواة الصلبة لحزب البروليتاريا فى الفترة المشار اليها فى نصه آنف الذكر.

وهدفه من هذا النص أن يبين للأحزاب الشيوعية الأخرى خطأهم فى التطبيق التقليدي الأعمى للمبادىء الماركسية . فالبلاشفة كما يقول لينين — لولا جمعهم بين الأشكال العلنية وغير العلنية من النضال ، وباشتراكهم فى البرلمانات الأكثر رجعية ، والمؤسسات الأخرى المماثلة . لولا هذه المواقف المرنة لأطاحت الأحداث بحزب البروليتاريا . الطفل الأمل فى حلم كل زعيم شيوعى !

(٦)

وموقف لينين من النقابات الرجعية هو نفس موقفه من البرلمانات الرجعية . و ننقل لك فيما يلى فقرات من حديثه عنها :

« ينبغى لزاما أن تعمل — يعنى الشيوعى — حيث يوجد الجمهور ، وأن تكون قادراً على عمل أية تضحيات ، وأن تذلل كل العوائق لكى تقوم بصورة منظمة ، وبعناء ، وصلابة ، وأناة ، ببث الدعاية والتحريض فى تلك المؤسسات والجمعيات والاتحادات »(ص ٤٦)

ويبدو لينين — هنا — كمحدد لصياغة النظرية الماركسية حيث أصبحت فيما بعد تعرف بـ « النظرية الماركسية—اللينينية » كما جاءت فى هذه الكتاب نفسه وفى الواقع هو مجدد مجتهد أضفى على القوالب والطقوس الماركسية نوعاً من المرونة الخبيثة التى لاترى إلا الاندساس بين الجماهير لإحداث الصدوع فيها .

ومن أجل هذا لام الماركسيين المتطرفين الذين يقاطعون

التجمعات الرجعية من برلمانات ونقابات واتحادات. ووضع مبدأ جديداً هو « اعمل حيث يوجد الجمهور » والبرلمانات ومثلها النقابات والاتحادات العالمية تكتلات جماهيرية ولهذا يدعو لينين ويلح فى الدعوة للاشتراك فى المؤسسات، ويعتبر البعد عنها مرضاً يسارياً طفولياً فى الشيوعية يجب الخلاص منه. ويسميه أحياناً هذراً صبيانياً لايليق بالقادة والزعماء الكبار باعتباره واحداً منهم إن لم يكن رائداً لهم . . !

ويزيد لينين المسألة وضوحاً فيقول :

« وبهذا يمكن الجمع بين العمل الجماهيرى خارج البرلمان الرجعى، وبين المعارضة التى تعطف فى هذا البرلمان على الثورة، والأفضل من ذلك التى تؤيد الثورة تأييداً مباشراً » ؟

(ص ٧٥)

الهدف — إذن — من الاشتراك فى المؤسسات الرجعية هو الطرق على الحديد الساخن عندما تتعرض البلاد لأزمة ما. فالأعضاء الشيوعيون داخل المؤسسة الرجعية عليهم أن يثيروا

أزمة برلمانيــة داخل البرلمـان . فإذا حدث أن قام النـاس خارج البرلمان بفوضى ، وهم يسمونها ثورة أو انتفاضة ، فعلى الأعضاء مساندة تلك الفوضى داخل قبة البرلمان أو النقابة بل عليهم أن يؤيدوها تأييداً مباشرا ، حتى تصل الأزمة إلى درجة الغليان . وهو غليان مطلوب لهم كما سنعلم بعد قليل . ؟!

يحرص لينين على ضرورة اختلاط العملاء الشيوعيين بالجماهير؛ لأنهم يوم يعتزلون الجماهير يصبحون — كما يقـول لينين نفسه — مجرد « مجمجمين »؟!

(٧)

ويهدف لينين من هذا كله إلى « اسقاط الحـكومات الرجعية» وهى الخارجة عن الحزام الشيوعى فى الفـكر والسياسة وطريقة التعايش . وهذا نصه فى ذلك :

« يجب أن يتأسس التا كتيك على حساب دقيق موضوعى وصـارم لجميـع القوى الطبقية فى الدولة المعنية والدول المحيطة بها ، وجميع الدول فى المحيط العالمى » (ص ٥٩) .

وهنا يفصح لينين عن مطامع الشيوعية ، وهى كما صورها اسقاط حكومات العالم كله ليصبح المجال على الصعيد العالمى مسرحا لا يقوم بالتمثيل فيه إلا الشيوعيون . أما من عداهم فلا عليهم إلا أن يتواروا عن الظهور أو يصبحوا مجرد نظارة ومتفرجين ؟

وفى سبيل تحقيق هذا الهدف فإن لينين يتقدم خطوة أخرى فى وضع الخطة . ذلك أن الماركسية كانت تمنع مبدأ « المفاوضات والمساومات والمناورات » مع الأحزاب والحكومات الرجعية ، وتعتبر التفاوض معهم خيانة ثورية تماما مثلما كانت تمنع من الاشتراك فى المؤسسات الرجعية .

وجاء لينين ليعتبر رفض المفاوضات مع الأحزاب الرجعية مرضاً يجب علاجه ، لأن الذى ينبغى مراعاته هو مصلحة العمل الشيوعى . وبهذا فإن المفاوضات والمناورات والمساومات إذا كان فى ممارستها مصلحة عملية فيجب الدخول فيها إذ لا بديل للطليعة الثورية عنها إلا الدخول فى معركة مسلحة مع الرجعيين . وهذا مشروط فيه ضمان الانتصار . فإذا لم تكن ظروف إحراز الانتصار

ممكنة ـ الآن ـ فليس أمام الشيوعيين إلا ممارسة المساومات ريثما تحين الفرصه لشن القتال . وهذا نصه فى ذلك :

« إن ولوج المعركة عندما يكون مسلما أنها من صالح العدو يكون جريمة ... والزعماء الذين لا يستطيعون أن يقوموا بالمناورات والتوافق والمساومات ، لكى يتحاشوا الولوج فى معركة ليست من صالحهم مطلقا . فانهم لا يصلحون لشيء قطعاً » ؟

(ص ٧٧)

وقد أفلح لينين فى تربية عملاء الشيوعية على هذا المبدأ المرن فقد أصبح عميل الشيوعية يحمل القلم فى يساره والسيف فى يمينه إن كان له « يمين » ، ولكل من القلم والسيف مجال . فاذا واتت فرصة السيف قذف بالقلم بعيداً وهوى بالسيف على رأس الفريسة وقد كان منذ قليل يحاول تضليل « العقل » الذى يحمله ذلك الرأس المبتور ؟!

(٨)

وينتقل لينين بعد هذا إلى تعليم الشيوعيين طريقــة بث فكر الشيوعية بين الجماهير فيقول :

« تلزم فى داخل حزب البروليتاريا السيــاسى إقامــة مركزية وطاعة شديدتين للغاية .. ولأداء دور البروليتاريا التنظيمى الذى هو دورها الرئيسى أداء صحيحاً وموفقاً ومظفراً . إن دكتاتورية البروليتاريا عبارة عن نضال عنيد ، دموى وغير دموى . قسرى وسلمى ، حربى واقتصادى . تربوى وإدارى ضد قــوى وتقاليــد المجتمع القديم ، إن قوة العادة عند الملايين وعشرات الملايين هى أرهب قوة ، وبدون حزب حديدى متمرس فى النضال .. يستحيل خوض هذا النضال بنجاح » (ص ٣٥)

يوجه لينين ـ هنا ـ أنظار الشيوعيين إلى عزل الناس عن العقائد والتقاليد والعادات الموروثة ، وهى تشمل العقائد الدينية بالدرجة الأولى . ويقول لهم لينين إنها مهمة صعبة وقوة رهيبــة لا بد أن يتصدى لها حزب حديدى صارم دموى سفاح مدرب على تضليل الجماهير . وبدون هذه الصفات يصبح النجاح بعيد المنال . (١)

ويحذر الشيوعيين من أن يندس بينهم دخيل عليهم ليس مخلصا للحزب مائة فى المائة • فيقول :

« إننا نخشى اتساع الحزب اتساعا يفوق الحد ، لأن هناك وصوليين ونصابين لايجدر بهم سوى الاعدام بالرصاص » ؟!

(ص ٣٩)

وليس هذا غريبا ـ عزيزى القارىء ـ أن يقدم الخارج عن تعاليمهم رمياً بالرصاص (!) لأن نضال الشيوعيين دموى كما قد علمت ؟ وليس الرصاص إلا وسيلة من وسائل إسالة الدماء • ! . ألست معى ؟

ويقول لينين :

« إن المهمة المباشرة التى تواجهها الطليعة الواعية من حركة العمال العالمية .. هى أن تكون قادرة على سوق الجماهير الواسعة التى لاتزال فى معظم الحالات . هاجعة ، بليدة الحس ، مقيدة بالروتين هامدة جامدة نحو هذا الوضع الجديد » ؟ (ص ٩٧) .

تأمل جيداً قول لينين « قادرة على سوق الجماهير الواسعة » ثم تأمل تلك الأوصاف التي وصف بها الجماهير وهي : الهوع ، بلادة الحس ، الهمود والجمود ، وخلاصة هذا في إيجاز :

إن الجماهير الهادئة الوادعة يجب أن تثار وتساق إلى مخالب القط الماركسي وهذه هي مهمة عملاء الشيوعية التي يجب أن يتمرسوا بها .. ولكن كيف ؟!

يقول لينين :

« ينبغي الجمع بين الإخلاص الشديد لمبادىء الشيوعية وبين القدرة على الاقدام على جميع المساومات العملية الضرورية والمناورات والتوافق واللف والدوران والتراجع وما إلى ذلك »؟! (ص ٨٩) .

وأدعوك لأن تقف طويلا — هنا — أمام كلمات . المساومات — المناورات — اللف والدوران .. وأنت خبير بأن هذه المعاني هي السائدة الآن على تصرفات الشيوعيين أحزاباً وعملاء . في بلادنا هنا — وفي غيرها من بلدان العالم . . ثم أسألك :

سياسة هذه هى ملامحها ما نصيبها من الاحترام والتقدير عند أصحاب المبادىء. وهل يمكن لسياسة كل وسائلها باطل وزور أن تحترم حقاً أو تدعو إلى حق ؟!

ويبين لينين قيمة سوق الجماهير إلى حلبة الصراع فيقول :

« لا يمكن الانتصار بقوى الطليعة وحدها ، وزج الطليعة وحدها فى معركة حاسمة ، قبل أن تكون الطبقة كلها والجماهير الواسعة قد اتخذت إما موقف التأييد المباشر للطليعة ، وإما على أقل تقدير ، موقف حياد يتسم بالنية الطيبة تجاهها ، بحيث تكون قادرة أبداً على تأييد عدو الطليعة » (ص ٩٦)

ويقول لينين :

يجب على الشيوعيين .. أن يتعلموا كيف ينشئون برلمانية جديدة غير عادية ولكيما يستطيع حزب الشيوعيين أن يصدر شعاراته .. وأن يوزع المناشير بمساعدة الفقراء المضطهدين أن يزوروا بيوت العمال وأكواخ الريفيين والفلاحين فى النقاط النائية وأن يترددوا على أبسط الشعارات الشعبية وأن يتحدثوا مع الشعب لكن لا بلغة العلماء .. وعليهم أن يتزاحموا على الكرسى

البرلمانى وأن يوقظوا الأفكار ويجتذبوا الجماهير » ؟ !
(ص ١٠٤) .

ولا تعليق لنا على هذا الكلام فهو أوضح من التوضيح .
ثم اسمع معى إلى مايقوله لينين عند ساعة الانفجار أو لحظة
اقتراب النصر الشيوعى العظيم كما يتصورونه .

يقول لينين :

« إن الثورة مستحيلة بدون أزمة وطنية عامة ، وذلك يعنى
أنه من أجل الثورة ينبغى أولا :

التوصل إلى جعل أكثرية العمال مدركة كل الإدراك لضرورة
الانقلاب ومستعدة إلى الموت فى سبيله . وثانيا .

أن تكون الطبقات الحاكمة تعانى أزمة حكومية تجذب إلى
حلبة الصراع حتى أكثر الجماهير تأخراً . الذين يمكنهم أن يشنوا
الكفاح السياسى ، ويتصاعد بسرعة إلى عشرة أضعاف بل إلى
مائة ضعف . . » (ص ٨٧)

عندئذ يجب على الشيوعيين !

«أن يزداد ارتباطهم بجميع نواحي الحياة الاجتماعية التي تؤدي باستمرار إلى انتزاع فرع بعد آخر ، وميدان بعد ميدان . . »

(١٠٤) .

حينئذ تحين ساعة النضال النهائي العظيم وهو سقوط آخر معقل مضاد للشيوعية وتبسط الشيوعية نفوذها على أرجاء العالم ويتحقق لها حلمها العظيم .. ؟

(٩)

هذا ما رأيت أن أنقله لك ـ عزيزي القارئ ـ من كتاب لينين «مرض اليسارية الطفولي في الشيوعية» نقلت لك هذه النصوص منه وها أنت ذا قد فرغت من القراءة . فحاول .. إذن ـ أن تجيب على السؤال الذي صدرنا به هذه الرسالة ، ومن أجل الإجابة عليه وضعنا هذه الرسالة الوجيزة وإليك إعادة السؤال مرة أخرى .

هل — يا ترى — الشيوعية كما يصفها أعـــداؤها أم كما يصفها أنصارها ؟

الحق مع من ؟

مع خصومها أم مع أنصارها ؟

ومن الذى حدث الصدع من جانبه — بعد فراغك من قراءة هذه الرسالة — أهم الأنصار أم الخصوم . . ؟!

ولا أريد أن أملى عليك رأيا معينا ، فهاهى ذى الحقائق ماثلة بين يديك ولا إخالك فى حاجة إلى حقائق أخرى فى اتخاذ القرار الذى تراه . فالاعتراف الحر سيد الأدلة ، وعنـدما تنضم إليـه « الوقائع » و (قرائن الأحوال) تصبح حيثيات (الحكم) جاهزة فأمسك بيدك قلما — من فضلك — وأصدر حكمك الذى اهتديت إليـه . وها نحن أولاء — من جانبنا — قد أعددنا (بطاقة) لإبداء الرأى ، فلا تدع هذه الرسالة تفارق يدك إلا وقد دونت فيها رأيك أمانة للحق وللتـاريخ . والله يرعانا جميعـا ويثبت على طريق الحق أقدامنا .

بطاقة إبداء الرأى

بعد الاطلاع على هذه الرسالة وبحث الحقائق الواردة بها أقرر :

أولا : إن هـذه النصوص المنقولة من كتاب لينين اعتراف صريح وحسر أحدث شرخا كبيراً فى جانب أحـد طرفى القضية موضوع النزاع (١)

ثانيا : إن هذا الشرخ حدث فى جانب . . . الشيوعية :

ثالثا : إن الحق مع . . . . الشيوعية فيما يصفونها به من أوصاف والله على ما أقول شهيد .

التوقيـع ————————

---

١ — ضع فى مكان النقط كلمة (أنصار) أو (خصوم) حسبما ترى .

رقم الإيداع ٢٩٢٧ / ١٩٧٨

مطبعة التقدم
٤٤ شارع المواردى بالمنيرة
القاهرة ت ٨٤١٤٢١